# مبحث

# حول جواز إطلاق كلمة يا غالي على الشخص لا سيما المؤمن

جمعه ورتبه

أبو محمد طاهر السماوي وفقه الله

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  وعلى آله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الألفاظ العربية لها عدة إطلاقات ومعاني وكل لفظ يختلف بحسب مورد اللفظ وهذا من حسن وعظمة اللغة العربية الجميلة لغة القرآن .

ومنها الألفاظ الغير عربية لما استخدمها العرب صارت عربية كما ذكر السيوطي وغيره.

ومنها الألفاظ العرفية التي تعارف عليها الناس بينهم في إطلاقها فإنها معتبرة شرعاً.

وسنذكر في هذا بيان أن لفظ يا غالي معتبر وجائز شرعا وعرفا ولغة وقد اختصرته ولم أذكر فيه إلا الشاهد وبالله التوفيق.

كتبه\ أبو محمد طاهر السماوي

١٥ محرم ١٤٤٤هـ

شحوح – سيئون – حضرموت - اليمن

وإليك بيان ذلك فأستعين بالله وأقول:

# أولاً: من كتاب الله تعالى

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤

قال ابن كثير رحمه الله: نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعالهم، وذلك أن اليهود كانوا يُعَانُون من الكلام ما فيه تورية لما يقصدونه من التنقيص -عليهم لعائن الله-فإذا أرادوا أن يقولوا: اسمع لنا يقولون: راعنا. يورون بالرعونة.[ تفسير القرآن العظيم(٣٧٣\٢)]

قلت: ( راعنا ) لها عدة معاني منها:

١ – قيل: كانت لغة الأنصار في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عنها في الإسلام.

٢- وقيل: أنهم يكثرونها في كلامهم واستعملها اليهود سباً فنهوا عنها.

٣ - وقيل: أنها كانت خاصة باليهود ولها معنى عندهم مذموم.

٤ - وقيل : ومعنى هذه الكلمة عند اليهود لعنهم الله تعالى اسمع لا سمعت.

٥- وقيل : أرادوا نسبته صلى الله عليه وسلم وحاشاه إلى الرعن ، فجعلوه مشتقاً من الرعونة وهي الجهل والحمق.

٦ - ويحتمل أنهم أرادوا به المصدر ، أي رعنت رعونة أو أرادوا صرت راعنا ووصف القول به للمبالغة كما يقال : كلمة حمقاء .

٧ - وذهب بعض العلماء أن سبب النهي أن لفظ المفاعلة يقتضي الاشتراك في الغالب فيكون المعنى عليه ليقع منك رعي لنا ومنا رعى لك ، وهو مخل بتعظيمه صلى الله عليه وسلم ، ولا يخفى بُعده عن سبب النزول بمراحل. [مختصرا من روح المعاني(٤٥١\٢) وبتصرف. وراجع مفاتيح الغيب للرازي(٢٦٠\٢)]

والشاهد من ذلك أن كلمة راعنا وردت بلغة العرب والصحابة كانوا يقولونها على حقيقتها اللغوية فلما جاءت اليهود وأوردوها على اصطلاح عندهم جعلوه لها وتعارفوا عليه بينهم ولو لم يكن مشهوراً اعتبره الشارع وجعله مقدم على الحقيقة اللغوية فهو معتبر كذلك هنا تنزلا على أن هذه الكلمة ليس لها أصل بل تطلق على الغلو وللشيء الي يباع ولا تقال للحر فقد جرت كلمات الناس في عصرنا وفي عصور متقدمة بها وصارت عرفاً بينهم لا يريدون إلا هذا المعنى في هذا الموضع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله وهو يبين الحقيقة العرفية ومتى يصار إليها: فالحقيقة العرفية ": هي ما صار اللفظ دالا فيها على المعنى بالعرف لا باللغة وذلك المعنى يكون تارة أعم من اللغوي وتارة أخص وتارة يكون مباينا له ، لكن بينهما علاقة استعمل لأجلها. فالأول: مثل لفظ " الرقبة " و " الرأس " ونحوهما كان يستعمل في العضو المخصوص ثم صار يستعمل في جميع البدن. والثاني مثل لفظ " الدابة " ونحوها كان يستعمل في كل ما دب ثم صار يستعمل في عرف بعض الناس في ذوات الأربع وفي عرف بعض الناس في الفرس وفي عرف بعضهم في الحمار. والثالث مثل لفظ " الغائط " و " الظعينة " و " الراوية " و " المزادة " فإن الغائط في اللغة هو المكان المنخفض من الأرض ، فلما كانوا ينتابونه لقضاء حوائجهم سموا ما يخرج من الإنسان باسم محله ، والظعينة اسم الدابة ثم سموا

المرأة التي تركبها باسمها ونظائر ذلك.[ مجموع الفتاوى(١٧\ ٩٦) والإيمان الكبير(٦٨)]

# ثانياً: من حيث اللغة

المغالاة في اللغة : المبالغة في الشّيء ، ومجاوزة الحدّ فيه .

يقال : غالى بالشّيء : اشتراه بثمن غالٍ ، ويقال : غاليت صداق المرأة : أي أغليته ، ومنه قول عمر رضي الله عنه : " ألا لا تغالوا في صدقات النّساء " ، وأصل الغلاء : الارتفاع ومجاوزة القدر في كلّ شيءٍ .[ الموسوعة الفقهية(١٨٥\١١٢)]

قلت: ومما دلت عليه كلمة غلا في اللغة بعد التتبع لها أنها تدل على معاني كثيرة منها الزيادة والارتفاع والمجاوزة والسعة والدخول في الشيء والأخذ له وغيرها من المعاني [راجع المحيط في اللغة لابن عباد(١٤\٥١٤)]

سيأكلنا الدهرُ الذي غالَ من نرى ... ولا تنقضي الأشياءُ أو يؤكلَ الدهرُ.

أي: أخذ الدهر الناس بالموت.

وليست مختصة بالحيوان ولا بما له قيمة محدودة من مال فهي عامة والحقيقة اللغوية تعامل على حسب السياق والورود فإذا وردت في البيع لها معناها وإذا وردت في باب التعدي والمجاوزة فلها معناها وإذا وردت في ارتفاع الشي وعلوه وزيادته فلها معناها وعليه فقس.

وهي في هذا الباب من باب الزيادة والارتفاع وكأنه يقول لصاحبه أنت في قيمتك وقدرك زائد في القلب ولك محبة ومودة زائدة عالية فأنت غالي عندي قدرا ومكانة ومحبة وغير ذلك فهي كما أشرنا لها أصل قوي جدا وسترى البيان في إطلاق هذا في الشعر والوصف والتسمي بإذن الله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ هُوَ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى وَقَدْ يُعَبَّرُ فِي اللُّغَةِ بِضَرْبِ الْمَثَلِ أَوْ بِالْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ عَنْ نَوْعٍ مِنْ الْأَلْفَاظِ فَيُسْتَفَادُ مِنْهُ التَّعْبِيرُ كَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ اللُّغَةِ ؛ لَكِنْ لَا يُسْتَفَادُ مِنْهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْحُكْمِ كَأَمْثَالِ الْقُرْآنِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ قَدْ قَالَ كَلِمَةً مَنْظُومَةً أَوْ مَنْثُورَةً لِسَبَبِ اقْتَضَاهُ فَشَاعَتْ فِي الِاسْتِعْمَالِ حَتَّى يُصَارَ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ كُلِّ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ وَإِنْ كَانَ اللَّفْظُ فِي الْأَصْلِ غَيْرَ مَوْضُوعٍ لَهَا فَكَأَنَّ تِلْكَ الْجُمْلَةَ المثلية نُقِلَتْ بِالْعُرْفِ مِنْ الْمَعْنَى الْخَاصِّ إلَى الْعَامِّ كَمَا تُنْقَلُ الْأَلْفَاظُ الْمُفْرَدَةُ فَهَذَا نَقْلٌ فِي الْجُمْلَةِ مِثْلُ قَوْلِهِمْ : " يَدَاك أَوْكَتَا وَفُوك نَفَخَ " هُوَ مُوَازٍ لِقَوْلِهِمْ : " أَنْتَ جَنَيْت هَذَا " لِأَنَّ هَذَا الْمَثَلَ قِيلَ ابْتِدَاءً لِمَنْ كَانَتْ جِنَايَتُهُ بِالْإِيكَاءِ وَالنَّفْخِ ثُمَّ صَارَ مَثَلًا عَامًّا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ : " الصَّيْفَ ضَيَّعْت اللَّبَنَ " مِثْلُ قَوْلِك " فَرَّطْت وَتَرَكْت الْحَزْمَ وَتَرَكْت مَا يُحْتَاجُ إلَيْهِ وَقْتَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ حَتَّى فَاتَ " وَأَصْلُ الْكَلِمَةِ قِيلَتْ لِلْمَعْنَى الْخَاصِّ . وَكَذَلِكَ " عَسَى الْغُوَيْرُ أَبْؤُسًا " أَيْ أَتَخَافُ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الظَّاهِرِ الْحَسَنِ بَاطِنٌ رَدِيءٌ ؟ فَهَذَا نَوْعٌ مِنْ الْبَيَانِ يَدْخُلُ فِي اللُّغَةِ وَالْخِطَابِ فَالْمُتَكَلِّمُ بِهِ حُكْمُهُ حُكْمُ الْمُبَيِّنِ بِالْعِبَارَةِ الدَّالَّةِ سَوَاءٌ كَانَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا إذْ قَدْ يَتَمَثَّلُ بِهِ فِي حَقِّ مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ فَهَذَا تَطَلُّبُهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْ جِنْسِ تَطَلُّبِ الْأَلْفَاظِ الْعُرْفِيَّةِ فَهُوَ نَظَرٌ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لَا نَظَرٌ فِي صِحَّةِ الْمَعْنَى وَدَلَالَتِهِ عَلَى الْحُكْمِ وَلَيْسَ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : { وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ } فَتَدَبَّرْ هَذَا فَإِنَّهُ يَجْلُو عَنْك شُبْهَةً لَفْظِيَّةً وَمَعْنَوِيَّةً .[ مجموع الفتاوى(١١٤\ ٦٤)]

## هل في هذه المسألة سلف؟

لا نعلم في من منع  في هذه المسألة بإطلاق بعد البحث عبر الجهاز المحمول والأصل كما هو معلوم البقاء على الإباحة والجواز.

قال العثيمين: وقول القائل لأبيه أو أمه أو صديقه "العزيز" يعني أنك عزيز علي غالٍ عندي وما أشبه ذلك، ولا يقصد بها أبداً الصفة التي تكون لله وهي العزة التي لا يقهره بها أحد، وإنما يريد أنك عزيز عليَّ وغالٍ عندي وما أشبه ذلك.[ من كتاب مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين المجلد الثالث]

وجاء في فتاوى نور على الدرب(١١٤\ ٣٤٩)]: المنان هو الذي يمن بما فعل من المعروف لغيره فتجده يمن عليه ويذكره بما فعل فيه من معروف أو إذا دعاه قال لا والله أنا مشغول لكن أنت غالٍ عندي وما أشبه ذلك مما يمن به على الغير والمنان صيغة مبالغة تقتضي أنه كثير المن فيما يأتي به من معروف...الخ.

وقال البسام: يشتمل هذا الحديث الشريف على ثلاث جمل، من النصائح الغالية والفوائد الثمينة، التي تهذب الإنسان، وتجنبه الأقذار والأضرار والأمراض. [تيسر العلام شرح عمدة الأحكام(١١ ٢٤)] فتوصف حتى الكلمات بهذا والمراد بها معلوم.

وقال: أن هذه الأحكام الثلاثة المذكورة، من وصايا النبي صلى الله عليه وسلم الغالية، التي ينبغي أن يعتنى بها ويحرص عليها، لأنها عظيمة النفع، جليلة القدر. [تيسر العلام شرح عمدة الأحكام(١١ ٣٠٩)]

قلت: بل السلف يطلقون قولهم وقد ضحى بكل غال ونفيس ومما يقصدون به التضحية بالنفس في سبيل الله تعالى وتسمية النفس والتضحية بها غال والمقصود بها بلا شك النفاسة والعلو في المكانة.

# ثالثاً: من حيث السنة

قال أبو يعلى: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ أَبِي إِسْرَائِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا، وَكَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ، فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ». وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّهُ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا. فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ لَا يُبْصِرُهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: أَرْسِلْ، مَنْ هَذَا؟ فَعَرَفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَعَلَ لَا يَأْلُو حَتَّى أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِبَطْنِ النَّبِيِّ حِينَ عَرَفَهُ، وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟». فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا تَجِدُنِي كَاسِدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِكَاسِدٍ - أَوْ قَالَ - عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ».[(٣٤٥٦) ومصنف عبد الرزاق (١٩٦٨٨) وموارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان(٢٢٧٦) وهذا سند صحيح كما ترى وقد صححه العلامة الألباني رحمه الله في مختصر الشمائل(٢٠٤)]

وهذا واضح الدلالة على إطلاق هذه الكلمة على المؤمن والمسلم وحتى على فرض لو قيل هذا الحديث فيه كلام يكفي الشاهد من تعارف الناس من إطلاق هذه الكلمة على العاقل لا سيما المؤمن بأنه غال من الارتفاع والزيادة والعلو في القدر والقيمة والشأن والمحبة وغير ذلك مما يكنه ويخفيه له في قلبه.

قلت: وعلى فرض أن هذا الحديث ضعيف فمعلوم أن أوجه التضعيف عند العلماء أن يذكروا نكارة ألفاظه فيقولوا وهذا لفظ منكر ولم يعلم عن عالم قال أن لفظ غالي هنا منكر وأن العرب لم تستخدم هذا اللفظ

# رابعاً: من حيث الشعر

وأما الشعر فقد وصف الشعراء بعض الممدوحين بهذا وعدوه مدحا فمن ذلك:

مدح ابنُ منير الأميرَ نور الدين شيركوه فقال[الروضتين في أخبار النورية و الصلاحية(١١١)]:

حظيت من المعالي بالمعاني ... ولاذ الناس بعدك بالأسامي

عزيز المنتمى عالى المراق ... بعيد المرتمى غالي المسامي.

وقال الصفدي[الوافي بالوفيات(١٧ ٣٤٢)] في ترجمة الأُدفُوي نَصيرٌ الأُدفوي وقد وصفه ابن نباتة فقال:

إرثي لجسمي البالي يا بالي ... وارحَم فتى أسير

فقد بذلتُ الغالي يا غالي ... في القدر يا أميرْ

وكتب أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي من الحبس، وكان قد زاره عميد الجيوش في محبسه بهذه الأبيات[المنتظم(١٤ ٣٠٦)].

أبا الفرج أسلم وابق وانعم ولا تزل ... يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص

مضت مدة أستام ودك غالياً ... فأرخصته والبيع غال ومرتخص

وآنستني من محبسي بزيارة ... شفت قرماً من صاحب له قد خلص

فانظر إلى وصفه للود بالغالي وهذا بين جلي والود لا يباع ولا يشترى.

وقد وصفوا أنفسهم بهذا اللفظ جماعة من الشعراء إليك هذا الكلام مما يدل على مدحه:

قال الصفدي[الوافي بالوفيات(٤٠٠١٣)]: وقال المازني: مررت ببني عقيل، فإذا رجل أسود قصير أعور أبرص أكشف قائم على تل سماد وهو يملأ جواليق معه من ذلك السماد وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وصلي ... فمثلك موجود ولا تجدي مثلي

فقلت: صدقت والله، متى تجد ويحها مثلك، فقال: بارك الله عليك وأسمعك خيراً، ثم اندفع ينشد:

يا ربة المطرف والخلخال ... ما أنت من همي ولا أشغالي

مثلك موجود ... ومثلي غالي

فلك أن ترى وقد وصف نفسه بالغالي. أي: عالي الثمن والقيمة والقدر.

وكذلك قال الصفدي[الوافي بالوفيات(٤٠٠١٣)] في ترجمة الوزير المغربي:

ومن شعره وذكر قصيدة منها:

لم أرض بالعيش والأيام مقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولت على عجل

غالي بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذل.

# خامساً: من حيث من أطلق عليه اسماً

- محمد بن فضل الله بن أبي الخير ابن غالي، الوزير الكبير غياث الدين خواجا ابن الوزير رشيد الدولة الهمذاني.[ أعيان العصر وأعوان النصر للصفدي (٣٨٧\٢)]
- إبراهيم بن غالي بن شاور الحميري البدوي قال البرزالي كان من أعيان القراء قرأ عليه الطلبة وكان يروي القرآت عن ابن فارس وابن أبي الدر وغيرهما وولى مشيخة الإقراء بالتربة الأشرفية ومات في شهر ربيع الأول سنة ٧٠٨. [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١٣٧)]
- أحمد بن محمد بن دعبل بن غالي بن جوشن التميمي الداري المزي وكان أبوه محمد يعرف بجوشن أيضا حدث عن خطيب مردا ومات في ثامن رجب سنة ٧١٨ وكان مولده سنة ٦٣٦هـ.[الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(٦٧٧)]
- ستيتة بنت محمد بن غالي بن نجم الدين الدمياطي سمعت من أبيها شمس الدين سمع منها الجماعة أبو حامد بن ظهيرة وغيره من أقراننا وهي والدة المحدث بدر الدين ابن الصائغ ماتت في سنة وثمانين وسبعمائة. [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١٨٠٤)]
- محمد بن غالى بن نجم بن عبد العزيز الدمياطى شمس الدين أبو عبد الله ابن الشماع ولد سنة ٦٥٠هـ[الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(١٦٩٨)]
- محمود بن علي شاه بن غالي رأيت خطه في استدعاء بخط ابن سكر مؤرخ بسنة ثمانين وسبعمائة. [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة(٢٢٤٤)]

وقد وصف بهذا جماعة لو ذكرناهم واستقصيناهم لطال بنا المجال ولكن يكفي الإشارة ففيها الكفاية.

[راجع تاريخ ابن الوردي(١١\ ٢٣)، تاريخ الإسلام(١١١\ ٩٠) تاريخ مدينة دمشق(٤٢\ ٤٠٣)وغيرها]

وممن تسمى من النساء بالغالية.

- الغالية بنت ظبيان [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد(٩\ ٢٠٥)]
- عياض بن جريبة بن سعد بن الأصبع الكلبي أمه الغالية بنت عياض بن النعمان بن سبرة الكلب. [تاريخ دمشق(٤٧\ ٢٥٠)]

والغالية نوع من أنواع العطر جاء في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (١٢\ ٣٩٤)]:

قد أخجل المسك نسيم لها ... وزهرها قد أرخص الغالية

دقيقة أصناف أوصافها ... ومالها في حسنها ثانية

وقال بعضهم[دمية القصر وعصرة أهل العصر(٨٨)]:

ما هيَ إلاّ لطخةُ الغاليهْ ... وهْيَ لَعَمري لطخةُ غاليَهْ

أُنظرْ إليها كدُجى مِسكِهِ ... في ضوء شمس الضَّحوة العاليهْ

وحولَها من صُدعه عَنبرٌ ... كالعُذَر السودِ على الغاليَه

# سادساً: من حيث من أطلق عليه وصفاً

قال الصفدي[الوافي بالوفيات(٧٣١٤)] في ترجمة المحاسبي:

الحارث بن أسد المحاسبي البغدادي الصوفي الزاهد العارف، صاحب المصنّفات في أحوال القوم. كان أبوه واقفياً أي يقف في القرآن فلا يقول هو مخلوق ولا غير مخلوق. ومات وخلّف مالاً كثيراً فلم يتناول الحارث منه شيئاً وقال: أهل مّتين لا يتوارثون. وكان كبير القدر غالي المثل. توفي سنة ثلاث وأربعين ومئتين.

قلت: والحارث المحاسبي ضال مضل منحرف معلوم فساده وعقيدته ولكن الشاهد إطلاق الكلمة بين الناس دون تحرج والحمد لله رب العالمين.